دراسة في كتاب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار

المدرس: جواد كاظم عبد الحاج شنجار

وزارة التربية

jawadalbadeny@gmil.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

تاريخ طبرستان لابن اسفنديار، واحد من المصنفات المهمة التي غطت اخبار هذا الإقليم المضطرب ، وكان يمثل تحدياً كبيراً لسلطة الدولة العباسية، ويكتسب هذا الكتاب أهميته لأنه تحدث عن خفايا الأسرار التي كانت وقعت بطبرستان والأسر التي حكمتها من ال باوند، الذين تعود فترت حكمهم لطبرستان الى ما قبل الإسلام وبذلك غطى هذا الكتاب مرحلتين مهمتين من تاريخ هذا الإقليم، الأولى مرحلة قبل الاسلام فضلاً عن المرحلة الإسلامية التي تميزت بوصول العلويين الى السلطة وانفصالهم عن الدولة العباسية وبناء دولة مستقلة في هذا الاقليم، تحدث ابن اسفنديار بشكل تفصيلي عن الأئمة العلويين، ولم يخف إعجابه بهم، فضلاً عن حديثه المقتضب عن الاسرة الباوندية. وعليه يمكن القول إن تاريخ طبرستان يعدّ الأهم بين المصنفات بهذا الصدد كونه ضم في متنه عدداً من المصنفات التي غيبت ولم يعد لها أثر إلاّ في هذا الكتاب.

المقدمة:

دخلت طبرستان في الفلك العربي الاسلامي بعد أن سيطر عليها العباسيون بصورة مباشرة، وكان اولَ الولاة العباسيين عليها أبو الخصيب (مرزوق) الذي أقام أول عمارة لأهل الإسلام في عام ١٤٤هـ/٧٦١م، وظلت طبرستان ولاية تابعة للخلافة العباسية الى أن جاء الأئمة العلويون الذين أقاموا دولة هناك عرفت بالدولة العلوية. وبذلك فصلت طبرستان عن الدولة العباسية .

تحدث ابن اسفنديار في مصنفه تاريخ طبرستان عن ذلك بشكل تفصيلي، فذكر اسماء ولاة طبرستان وفترة حكمهم ، وتحدث عن الاسر المحلية التي حكمت هناك. نحاول في هذه الدراسة أن نبيّن أهمية هذا الكتاب وابرز المحاور التي تناولها ابن اسفنديار بعد أن نستعرض جانب من حياته. على اننا لم نتوغل في تفاصيل صفحاته الدقيقة والجزئية التي تتعلق بإحداث التاريخ وما استعرضه المصنف بتفاصيله.

لقد قرأ ابن اسفنديار الأوضاع في طبرستان بدقة وبيّن أن الدولة العلوية كانت تمثل عصر الانتقال الى الاستقلال من عصر الوالي الذي كان يمثل سياسة الخلفاء ويأتمر بأمرهم، والى عصر الحكم القوي الذي يسنده جيش قوي له هوية مستقلة. يرى براون أن العلويين كانوا يمثلون رموز الاستقلال في طبرستان (براون، ٢٠٠٥: ج١، ص ٢١٠) (Brown, 2005: v1, p210).

لا شك أن عمل ابن اسفنديار كان شاقاً ومضنياً ، ولكن مما خفف عنه الكثير من العناء اعتقاده بجدية العمل الذي قام به، وقد تحدث عن ذلك بصورة ملخصة ودقيقة. فهل نجح في رسم صورة موضوعية عن أوضاع طبرستان؟ وما هي منهجيته في قراءة تاريخها؟ وأين تكمن أهمية هذا المصنف ؟ ذاك ما نحاول أن نعرف في هذه الدراسة .

سيرة ابن اسفنديار

لا يعرف التاريخ عن هذه الشخصية شيئاً ذا غناء يستطيع الباحث أن يجمع منه خطوط شخصيته الرئيسة، فلا يعرف عنه إلاّ أخباراً متفرقة، لا يكون مجموعها ترجمة او تاريخاً له ، فالمعلومات عن بهاء الدين محمد بن الحسن بن اسفنديار(كان حيا في ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) غير وافية، وجاءتنا في أعمها الاغلب من كتابه (تاريخ طبرستان)، فهناك اشارات نقلها عن حياته واسفاره، وعلى ما يبدو فان ابن اسفنديار امضى جزءاً من حياته في بلاط (آل باوند) ملوك طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٤، ١٥٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p24, 158)،الذين ارتبط معهم بعلاقة طيبة نقل لنا صورة عنها. وكان يعمل في بلاط حسام الدولة أردشير بن حسن الباوندي(٥٦٧-٦٠٢هـ/ ١١٧٢-١٢٠٦م) وحظى بدعمه، ودعم سائر العاملين في بلاطه، وقد اشار الى ذلك في كتابه. والقارئ لتاريخ طبرستان يجد في صفحات هذا المصنف إشارات الإعجاب والتقدير التي أسبغها ابن اسفنديار على الأمير الباوندي حسام الدين أردشير، كما يجد إشارة الى صلته القوية به في سياق ترجمته له التي يكيل فيها المديح له (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٤١٨- ٤٢٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p418- 423)

غادر ابن اسفنديار الى بغداد ومن غير المعلوم الأسباب التي دفعته لذلك، فربما رحل في طلب العلم، لأن بغداد كانت حاضرة العالم الاسلامي، ولعل أمير طبرستان أرسله بمهمة رسمية الى الخليفة العباسي. المهم انه ترك بغداد عام(٦٠٦هـ/١٢١٠م) متوجها الى (عراق العجم) الذي يسمى وفق تعريف لسترنج باقليم الجبل (كي لسترنج، ١٩٥٤: ص٢٢١) (lasataranaj, 1954:p221) فيكون وروده الى بغداد حتماً قبل عام (٦٠٦هـ/١٢١٠م) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19)، ولعله زار مرقد الامام

علي (عليه السلام) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٢٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p228) قبل مغادرته الى مدينة الري قصبة بلاد الجبال (ابن الشمائل القطيعي، ١٩٩١: ج٣، ص٦٥١) (ibn shamayil alqatiei, 1991: v2,p651)، ثم توجه الى بلده، ويبدو أنه تلقى في طريقه الى طبرستان خبر مقتل رستم بن أردشير بن حسن الباوندي (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19)، الذي كانت تربطه علاقة طيبة معه. وربما كان هذا الحادث هو الذي دفعه الى الابتعاد عن طبرستان التي عمتها الفوضى والاضطراب، فقد تحدث عن ذلك قائلاً :" ووصلت الى حضرة أبي بعد مشاق كثيرة ومعاناة بلا حصر نتيجة فوضى الولاية" (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p25). انتقل بعد ذلك الى مدينة (آمل) وهي اكبر مدن طبرستان ومقر الولاة كما قال ابن الفقيه (ابن الفقيه، ١٩٩٦: ص٥٦٤) (Ibn al-Faqih, 1996: p 564) ويبدو أنه لم يستقر بها طويلاً، فقد غادرها نحو خوارزم. وكانت له هموم نقلها في كتابه عن هذه الرحلة وما حل به قال: "وعدت أبي مضطراً وقررت الرحيل حيث ألقى الزمان، وهو شاطئ الغفلة ... ، حتى طار العقل من دماغي مثل البخار واستولى علي نوم كنوم أصحاب الكهف، وحينما أفقت وجدتني ذليلاً في خوارزم (كعمل جسد له خوار) روضه على وخم" (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥) (Ibn Esfandiar، ٢٠٠٢: ص٢٥) ، مكث ابن اسفنديار فترة في خوارزم التي قال فيها:" فرأيته إقليماً تلو إقليم وعالماً إثر عالم فيه تحصيل العلم، وفوائد العلماء فيه من الكثرة بحيث إن كل ما في الدنيا لا يوازى عشر ما لديهم"، ووفقاً لما نقله فانه مكث في خوارزم خمس سنوات (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥) (Ibn Esfandiar، ٢٠٠٢: ص٢٥)، ومن غير المعروف إنْ كان قد قتل مع الاجتياح المغولي أم مات بعد ذلك. إن الاضطراب الذي حصل في الأقاليم الشرقية من بلاد المسلمين اخفت معها الكثير من سير هؤلاء الاعلام ونتاجهم ولم نملك من سيرة هذا المؤرخ غير ما نقله لنا في كتابه (تاريخ طبرستان) ولعلها الوثيقة الوحيدة التي تحدثت عن حياة هذا الرجل ونتاجه العلمي.

دراسة في كتاب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار

اولاً: التعريف بالكتاب :

لمصنف ابن اسفنديار أهمية تاريخية وجغرافية بما احتواه من تفاصيل وصور ووثائق، عن تاريخ طبرستان في حقب زمنية مختلفة (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p26)، لم تبحث بهذا الشكل من التفصيل، ولعله اقدم المصنفات وأهمها التي تناول تاريخ طبرستان (ال داود، علي، (١٩٩٥)."ابن اسفنديار".دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج٢، ص ٣٨٧ –٣٨٨)

(Al-Dawood, Ali, (1995). "Ibn Esfandiar". The Great Islamic Encyclopedia, v2, p 387- 388) .

في هذا الكتاب معلومات مهمة وقيمة عن شخصيات محلية، ربما ذكرها ابن اسفنديار دون سواه، فالرجل شاهد عصره، ومراقب أحداثه لا سيما في هذه الحقبة من تاريخ هذا الاقليم، وكان يحتل مكانة مرموقة لدى الأسرة التي حكمت طبرستان، كونه قدم خدمات، لعل أميزها هذا الكتاب الذي نحن بصدده. وعليه فإن مصنفه (تاريخ طبرستان) حظي باهتمام كبير، نظراً لدقة تصوراته لمجمل أحداث عصره، الذي عانى من التحولات والتقلبات الكثيرة والكبيرة؛ الأمر الذي جعل منه مرجعاً رئيساً يستقى منه الباحثون المعنيون بتاريخ طبرستان .

أ- أسم الكتاب

عنوان هذا الكتاب **(تاريخ طبرستان)** وهو الأسم الذي ظهر على طبعات الكتاب؛ وانتساب الكتاب لبهاء الدين محمد بن الحسن بن اسفنديار قد ثبت في مقدمة الكتاب قال:" إنني نهضت كما يحب لا كما يجب في جمع تاريخ طبرستان" **(ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002:p19)**، وعزز هذا الإدّعاء أرثر كرسيتنسن في كتابه إيران في عهد الساسانيين **(أرثر كرسيتنس، ٢٠٠٢:ص ٥١) (karsitns, 1982: p51)**.

ب-تاريخ تأليفه :

لا يمكن تحديد تاريخ تأليف هذا الكتاب بصورة دقيقة رغم ورود بعض الاشارات التي توحي بأن ابن اسفنديار صنف**(تاريخ طبرستان)**بعد وصوله الى مدينة الري سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥ -٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p25 -26). فخلال اقامته في هذه المدينة عثر في ثنايا الكتب على عدة اجزاء مكتوبة في ذكر (كاوبارة) بمكتبة مدرسة رستم بن علي بن شهريار، ووفقاً لما قاله ابن اسفنديان فان كاوبارة كان لقب ملك على طبرستان، ويبدو انه اعتمد هذا المصنف بنصه العربي اساساً لمصنفه الذي كتبه باللغة الفارسية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p22). وبذلك انقذ ابن اسفنديار هذا المعلومات المهمة عن تاريخ طبرستان، وكان له الفضل في الحفاظ على رسالة تنسر من الضياع.

ورسالة تنسر التي ترجمها ابن المقفع الى العربية وكتبها كبير الكهنة في بلاد فارس الى الملك الفارسي اردشير وجعلها ابن اسفنديار مدخل الى كتابه (تاريخ طبرستان) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٥) (Ibn Esfandiar, 2002:p25). وتعد رسالة تنسر وفقاً لرأي كرسيتنسن من أهم الوثائق التي دونت حول تنظيمات العهد الساساني (كرسيتش،

١٩٨٢: ص٥١) (karsitns, 1982: p51). وعليه يمكن القول إن ابن اسفنديار صنف هذا الكتاب بعد سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م في مدينة الري. وهو من أقدم المصنفات الموجودة التي تحدثت عن تاريخ طبرستان بشكل فيه تفصيل.

ت - الغرض من تأليفه :

كنوع من الوفاء للأمير الطبرستاني الملك حسام الدولة رستم بن أردشير حاول ابن اسفنديار تصنيف كتاب بهذا المحتوى يتحدث عن أمراء طبرستان وحكامها، فضلاً عن تاريخ هذه المدينة وأبرز الاحداث التي وقعا فيها (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢، ص ٢٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p22). وربما تكون دوافعه ذاتية للبحث عن تاريخ بلاده وتدوينه، ولعله رحل الى بغداد للبحث والتقصي عن المصنفات في مكتباتها التي تحدثت عن طبرستان وتاريخها ، ويبدو أن رحيله الى بغداد سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19) لم تثنيه عن بحثه الذي واصله في مدينة الري ثم مدينة خوارزم حتى جمع مادته وصنف هذا الكتاب النفيس.

ث- نسخ الكتاب

يعتقد محقق كتاب تاريخ طبرستان ان النسخ الموجودة من هذا الكتاب اما ناقصة او مغشوثة، ويرى أن أقرب المخطوطات عهداً بالمصنف تلك التي كتبت قبل ستمائة عام بما يقارب القرن الحادي عشر الهجري اما باقي النسخ فهي غير موثوقة، واشار عباس اقبال محقق هذا الكتاب الى ذلك بالتفصيل (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٩ -١٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p9 -19)

ثانياً: الخطة العامة للكتاب

يبدو أن تدوين تاريخ طبرستان شغل ابن اسفنديار كثيراً (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥ -٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p 25- 26)، وعلى الرغم من الظروف والنكبات التي ألمّت به، بيد انه سجل لنا مصنفاً مهماً عن هذا الاقليم الذي مثل قلقاً كبيراً للدولتين الاموية، والعباسية. فكان موطن الاضطراب الذي اقلق الخلافة العربية الاسلامية كثيراً (تاريخ الطبري، ١٩٧٩: ج٤، ص١٥٣، ٢٧٠، ٢٧١) (Al-Tabari, 1979: v4, p153, 270, 271). إن ما يميز هذا المُصنف انه ضم تفاصيل عن تاريخ طبرستان لم ترد في مصنفات أخرى، ونقل لنا معلومات غاية في الأهمية.

أ- الديباجة

وافق بهاء الدين محمد بن الحسن ابن اسفنديار مصنفي عصره ، مستهلاً ديباجة كتابه بالبسملة ثم حمد الله ، ثم صلى على النبي محمد واله واصحابه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19). ثم تحدث عن بعض موارده التي استقى منها

معلوماته، على أن بعضاً من تلك الموارد ذكرها في متن الكتاب (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٥١ – ١٥٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p151 – 152) . وسجل لنا مقدار ما تعرض له من اهوال خلال جمعه لمحتوى الكتاب. وكثيراً ما شكى كبر سنه، الذي كان يعيق نشاطه كما قال، غير أنه تجاوز كل ذلك واستطاع تصنيف هذا المصنف (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p26) ، وربما الأهوال التي تعرض لها كانت بسبب علاقته الطيبة مع الأمير الباوندي حسام الدين اردشير الذي قتل سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م.

ب– **<u>التنظيم والحجم:</u>**

لا شك ان جهد المصنف واضح فيما جمعه من أحداث تاريخية مهمة وثقت مرحلة مهمة من تاريخ طبرستان، فلولا الجهد الذي بذله ابن اسفنديار لكنا نفتقر الى الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية الخاصة بهذا الاقليم ، ولعل معظم الذين جائوا بعده اعتمدوا على مصنفه في تدوين اخبار طبرستان. وانتساب هذا الكتاب الى ابن اسفنديار ورد في محتوى الكتاب (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٩، ١٥، ٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p19, 15, 26). تناول ابن اسفنديار في هذا المصنف رحلته الى بغداد، ورحيله عنها وتلقيه خبر مقتل حسام الدين اردشير ملك طبرستان، الذي كان على ود كبير معه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19) . وتحدث عن الحاجة لمثل هذا المصنف (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٢ –٢٤) (Ibn Esfandiar, 2002:p22 –24)، متناولاً الصعوبات التي واجهها، فقلة المصادر اعاقته كثيراً، وقد تحدث عنها بشكل كبير، فضلاً عن اعتلال صحته، وما اصاب طبرستان من اضطراب ومصائب كما قال دفعته للابتعاد عنها، غير أن عزيمته مكنته من التغلب على تلك الصعاب في جمع هذا الكتاب المهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p26).

عَرف إبن اسفنديار كتابه، وبيّن اقسامه، ومحتواه. وقد قسم هذا الكتاب وفقاً لمادته التاريخية الى أربعة أقسام المهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p26). وأفرز لنا بعض الحقائق الغامض عن الصراع الخفي بين امراء طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٣٣٠ –٣٥٠) وتربع ال باوند على السلطة مرة اخرى، ونوه بعناية الى الأسباب وراء عدم انتشار الاسلام في طبرستان (**ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص٢٦٠**). وكثيراً ما كان يدعو الله عز وجل في مقدمة هذا الكتاب أن يوفقه لاتمام جهده (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٣٣٠ –٣٥٠)(Ibn Esfandiar , 2002, p330 – 350) ، وقد تحقق له ذلك.

ت-مادة الكتاب

ذكر ابن اسفنديار في مصنفه العديد من الروايات التاريخية المهمة التي ترتبط وتاريخ طبرستان منذ العهد الاساساني حتى مطلع القرن السابع الهجري/ الثاني عثر الميلادي عصر المصنف ، ويكتسب هذا المصنف اهميته من خلال ماده التاريخية التي لا تتوفر في غيره من المصنفات بدأ من العصر الاساساني مروراً بالعصر الإسلامي. ومما لا شك فيه فان هذا الكتاب هو مصدر مهم لتاريخ الدولة العلوية في طبرستان، فضلاً عن كونه من اهم المصنفات التي تحدثت عن الأسرة الباوندية التي حكمت هذا الاقليم منذ العصر الاساساني وحتى سيطرة الخوارزميين عليه. غير أن محقق الكتاب ينقل لنا أن بعض نسخ الكتاب تنتهي لغاية سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩م، ويبدو أن بعضاً من النساخ أكملوا ما بدأه المصنف او اضاف قسم من طلبته هذه الإضافة بعد وفاته، وبالتالي توقف المحقق الى عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م الذي يعتقد انه عام وفاتة (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١١، ٤٧٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p11, 475).

لقد جمع لنا ابن اسفنديار معلومات غاية في الأهمية، وتحدث عن علاقة العلويين مع الناس، وحدد بشكل دقيق طبيعة العلاقة بين الخلافة العباسية وأمراء طبرستان، فضلاً عن حديثه عن الحياة العلمية، وترجم لعدد من علماء طبرستان، وعليه يمكن تحديد مادة المصنف التي تناولها ابن اسفنديار في كتابه بخمسة مراحل وهي(**المرحلة الاساسانية، وتأسيس طبرستان وعمارتها، وخصائص طبرستان وعجائبها وملوك طبرستان وعلمائها**).

المرحلة الساسانية

اعتمد أبن اسفنديار في كتاب تاريخ طبرستان على كتاب(تنسر) الى الملك أردشر (كرسيتش، ١٩٨٢: ص٥١) (karsitns, 1982: p51) ، وهذا الكتاب يعد من اقدم المصنفات التي تحدثت عن تاريخ الدولة الساسانية .

نقل لنا ابن اسفنديار أن أردشير من خلال هذه الرسالة أوضح سياساته وعلاقته مع ملوك طبرستان وخضوع الاسرة الحاكمة في طبرستان للنفوذ الساساني (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٣٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p32).

وعلى الرغم من ان رسالة (تنسر) فيها بعض المعلومات التاريخية، بيد أنها تحتوت على جوانب وعظية ونصائح للملك وحاشيته من الأمراء. فتنسر كان يعتقد أن الفقر اذا انتشر بين الناس يصبح من العسير على الرعية دفع الضرائب لخزانة الملك فلا يستطيع الملك ان يسدد للجند رواتبهم، وبالتالي تعم الفوضى في البلاد،

كما أنه ينهى الامراء عن التبذير والاسراف لان ذلك يؤدي الى رفع الضرائب على الصناع (وابناء المهن) كما سماهم ، ويبرر وجود العيون والجواسيس في المملكة لحفظ الامن وسلامة الرعية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٧٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p73). كما انه تحدث عن اختلاف الديانات بين الايرانيين، ويشير الى ان الممالك المنضوية تحت نفوذ الساسانيين كانت ممالك مختلفة العقيدة (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٧٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p73) . ولعل ذلك يفسر حرية الاعتقاد في حكم اردشير على الاقل.

مما لا شك فيه أن رسالة تنسر اخلاقية وتاريخية غير أن الجوانب الاخلاقية الوعظية هي الغالبة، فأحداث التاريخ التي تناولها لم ترد إلاّ من خلال دعواته الملك الى الإصلاح وإيثار الرعية وإنصافها ، مبيناً طبيعة علاقة الاسر الساسانية مع ملوك طبرستان. ومهما يكن من امر فان ابن اسفنديار وضع هذا الكتاب بمثابة تمهيد قبل حديثه عن طبرستان.

تأسيس طبرستان وعمارتها:

أعطى ابن اسفنديار معاني بعض الكلمات التي كانت تطلق على طبرستان ويعتقد أن اسم مازندران هو اسم محدث، ويوافق رأيه ما ورد في معجم البلدان (ياقوت الحموي، ١٩٧٥: ج٥، ص٤١) (yaqut alhumwi, 1975: v5, p42)، رغم ان زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) عندما تحدث عن ذكر مازندران لم يوقفه تاريخ هذا الاسم مكتفياً بالقول ان هذا الاسم يعد من اسماء مدينة طبرستان (آثار البلاد وأخبار العباد، ب ت: ص ٤٠٣، ٤٠٤) (alquzwayniu, n d: p 403, 404) .

تحدث ابن اسفنديان عن مدن طبرستان وملوكها فكان يصف كل مدينة منفردة مبين أسباب بنائها وما اشتهرت به وميزها عن باقي مدن طبرستان، فضلاً عن إعطائه ايجازاً لتاريخها ومن بناها من القادة والملوك ، فمدينة آمل كان سببَ بنائها شقيقان هربا من الديلم هما (إشتاد، ويزدان) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٧٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p79) في قصة جميلة لا تحلو من الخيال. ووصف مدن تريجة وهي واحدة من اجمل مدن طبرستان، ومدينة مامطير التي فيها مقام للامام الحسن بن علي(عليهم السلام) ، ذكر ابن اسفنديار أن الإمام الحسن (عليه السلام) وصلها مع مالك الاشتر إبّان الفتوحات العربية الإسلامية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٨٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p87) ثم تحدث عن سارية،

وساق لنا خراج طبرستان في عهد الدولة الطاهرية ، وكان خراجها مليونا وثلاثين ألف درهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٧٩) (Ibn Esfandiar, 2002:p79) .

خصائص طبرستان وعجائبها

طبرستان هي قلعة تحيط بها الجبال ومن الصعب على الجيوش اقتحامها، ويبدو أن هذا الأمر دفع الأكاسرة الى الاحتماء بها في الملمات قال ابن اسفنديار:" منذ قديم الأيام كانت طبرستان موطناً ومعقلاً وملحاً للأكاسرة والجبابرة ، وبسبب حصانتها المنيعة ووعورة مضايقها كانوا يرسلون إليها الخزائن والكنوز والذخائر، وكل ملك كان يتغلب عليه عدوه ولا يجد له مكاناً على وجه الارض بين الاقاليم الأخرى كان يأتي لهذه الارض كي يجد الأمن ويستريح من مكائد خصمه" (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٨٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p89)، ووفقاً لما ذكره ابن اسفنديان فان هذا الاقليم متنوع الانتاج الزراعي وفيه وفره من المياه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٨٩ –٩٠)(Ibn Esfandiar, 2002: p89 –90) ، ولعل هذه المزايا، فضلاً عن التحصينات الطبيعية جعلت طبرستان اكثر الاقاليم منعة.

في هذا الجانب أعطى ابن اسفندياً وصفاً جميلاً لمناخ طبرستان، فضلاً عن جغرافيتها وبيّن ان جبالها كانت لملوكها منعة ووزرة، وغياضها لأهلها خزانة، ووفق وصفه كانت طبرستان جنة يسير المسافر فيها على بسط من الخضر (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٩١) (Ibn Esfandiar, 2002: p91) . ووصف في موضع آخر مكانة طبرستان التجارية التي كان التجار يأتون اليها من العراق والشام وخراسان وحدود بلاد الهند في طلب سلعهم وبضائغهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٩٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p92). وهذه الفصول هي تمهيد للفصل الاخر الذي أسماه الباب الرابع الذي يعدّ مكملاً لما بدأ به.

ملوك طبرستان وعلمائها

يلاحظ أن ابن اسفنديار قسم طبرستان وفق المراتب الاجتماعية في عنوانه لهذا الفصل حيث بدأ بالملوك واولهم بالاصفهبذ مازيار (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٠١) (Ibn Esfandiar, 2002: p101) ، ثم تحدث عن الامراء (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٠٢ –١٠٤) (Ibn Esfandiar, 2002:p102 – 104). وتناول بالمختصر المفيد سيرة محمد بن زيد الداعي الى الحق (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٠٥)(Ibn Esfandiar, 2002: p105) ، وتحدث عن دعوته وصفاته ، وكان حديثه عن الناصر الكبير الحسن بن علي بن الحسين

العلوي (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٠٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p105) اكثر تفصيلاً ، ثم تحدث باختصار مفيد عن باقي امراء الدولة العلوية الذين حكموا طبرستان من الاسرتين الحسنية والحسينية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٠٦ -١٠٧) (Ibn Esfandiar، ٢٠٠٢: ص١٠٦ -١٠٧).

وبعد سقوط الدولة العلوية في طبرستان تولى حكمها آل باوند ، الذين وصفهم بالاسرة المباركة، وانهم ملاذ للخائف وملجأ للسلاطين والملوك (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٤) (Ibn Esfandiar, 2002: p14)، ويبدو أن حصانة هذا الاقليم دفع الامراء الفارين والملوك للذهاب والاحتماء هناك. وختم ابن اسفنديار حديثه عن اخر ملوك الاسرة الباوندية وهو حسام الدولة ابو الحسن اردشير بن الحسن الذي قتل في عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م . الذي كان على معرفة جيدة به فهو لا يخفي إعجابه به (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٢٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p126).

وضع ابن اسفنديار باباً تحدث فيه عن معارف طبرستان، لم يترجم لهؤلاء المعارف ترجمة وافية فلم يتحدث عن سيرهم ولم يذكر وفياتهم او الفترة التي عاشوا فيها او الامراء والملوك الذين عاصروهم ، مكتفياً بذكر بعض من محاسنهم فخلال فذكر جهود **ابي اسحاق ابراهيم المرزبان** في إقامة الطرق والجسور في طبرستان ورويان من ماله الخاص واشار إلى نفقات مطبخ (محمد بن موسى بن حفص) الذي كان ينفق كل يوم بمدينة آمل ألف دينار وكان يعطي نفقات سفر ألف شخص الى مكه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٣١) (Ibn Esfandiar, 2002: p131) .

يلاحظ أن كل الذين ذكرهم ابن اسفنديار شخصيات غير معرفة في كتب التراجم، ويبدو أنهم من الاثرياء الذين يتصدقون باموالهم فعرفوا بهذه الصفة. تحدث ابن اسفنديار بعد ذلك عن علماء طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٣٣- ١٤٠) (Ibn Esfandiar, 2002: 133 -140)، حيث بدأ بالطبري محمد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ثم ذكر **عبد الواحد بن اسماعيل**، ويبدو أنه اعتمد الأسلوب نفسه خلال حديثه عن معارف طبرستان ، فلم يتحدث عن حياة هؤلاء العلماء ومراكز تتلمذهم ، ولم يشر الى شيوخهم او تلاميذهم بل اهمل سني وفياتهم او كناهم وكل ما ارتبط بسيرهم ، مكتفياً بالاشارة الى بعض مصنفاتهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٤٠)(Ibn Esfandiar, 2002: p140) ، وذكر

ابياتاً من بعض قصائدهم مثلما فعل في ترجمته الى بارع الجرجاني (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٣٩)(Ibn Esfandiar, 2002: p139) .

وذكر الزهاد فبدأ بالشيخ ابي جعفر الحناطي الذي كان مفتياً وشيخاً وزاهداً ، وتحدث عن كراماته ، ومنها قوله : ان كل من حلف به كذباً يرحل عن الدنيا مفضوحاً (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٤١) (Ibn Esfandiar, 2002: p141)، ومدح الزاهد قاضي هجيم بقصيدة لم قال انها لاحد العلماء، مستدل بها على فضل هذا الزاهد وعلمه (ابناسفنديار، ٢٠٠٢:ص ١٤٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p142)، اما باقي المواضيع التي تحدث فيها ابن اسفنديار في هذا المصنف المهم فكانت عن الاطباء والحكماء والمنجمين فضلاً عن حديثه عن الشعراء الذين اكتفى بذكر اسمائهم فقط (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢:ص ١٤٧ –١٥١) (Ibn Esfandiar, 2002: p147 –151).

لم يتبع ابن اسفنديار التسلسل الزمني، فتحدث عن الأسر الفارسية التي حكمت طبرستان فبدأ الحديث عن الاسرة البويهية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٤٣ – ١٥١) (Ibn Esfandiar, 2002:p 143 –151) التي تعود في جذورها الى الديلم الذين كانوا يسكنون قرب بحر الخزر (ابن الاثير، ١٩٩٧: ج٧، ص٥) (Ibn Al–Asher, 1997,v7 ,p5)، ثم تحدث عن اسرة ال وشمكير بن زيار (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ١٥٣ –١٥٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p153 –158)، ليعود ويتحدث عن الملك (وكيوس) وهو أخ الملك الساساني اردشير بن قباذ (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p159) . وابن اسفنيديار ليس الوحيد من المؤرخين الذين لم يلتزموا التسلسل التاريخي في نقل الاحداث والوقائع.

ومن المعلومات المهمة التي نقلها لنا في هذا المصنف حديثه عن باو الذي اعتقد أنه كان ينحدر من سلالة كيوس بن قباذ واستقراره في طبرستان بعد سقوط الدولة الساسانية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٦٤) (Ibn Esfandiar, 2002: p164). وباو هو الجد الأعلى لاسرة ال باوند.

ثم اعطانا معلومات مهمة عن الفتح الاسلامي وجيش مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي قتل هو وجيشه في جبال طبرستان المنيعة (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٦٦ –١٦٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p166 –167)، وهذه هي المحاولة الاولى للفاتحين نحو هذه المناطق المحصنة. اعطانا ابن اسفنديار معلومات مهمة عن الأسر التي تولت حكم طبرستان ومن ابرزها الاسرة العلوية

وهي الاسرة العربية الوحيدة التي حكمت هذا الاقليم، لينتقل الحكم بعد ذلك الى الأسرة الفارسية العريقة من ال باوند.

ان المادة التاريخية المهمة التي وردة في هذا الكتاب عن طبرستان تدفعنا الى القول ان هذا الكتاب هو من ابرز الكتب وأهمها التي أرّخت لهذا الإقليم المضطرب والحاضرة التي انجبت كماً كبيراً من العلماء والمفكرين الذين قدموا نتاجاً كبيراً في حقول معرفية مختلفة.

ثالثاً: منهج ابن اسنفديار وموارده

اسلوبه:

رصد ابن اسفنديار في هذا الكتاب الواقع السياسي المتردي لأمراء الدويلات الاسلامية، وما كانوا عليه من ظلم وجور وفساد، بجانب ما كانت طبرستان تعيشه من أوضاع حرجة، وعدم استقرار فكان بديهياً أن يركز على الجوانب السياسية أكثر من غيره، فتناول التاريخ السياسي لبعض امراء طبرستان بالتفصيل، وتعرض لحياة بعض حكامها وسير الأمراء من آل باوند الذين عرفوا بامراء الجبال (اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٥٨ – ١٨٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p 158 –186)، وكان يرى أن لأمير طبرستان ثلاث مهام عسكرية وادارية ومدنية ، ونقل لنا روايات بهذا الشأن، ولعل هذا الكتاب من أهم المصادر وأوسعها التي تحدثت عن امراء آل باوند ودولتهم في طبرستان، ويبدو أن ابن اسفنديار كان يعتز بهم (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ١١٤) (Ibn Esfandiar, 2002: p 114) ، فذكر أمراءهم في اكثر من موضع من هذا المصنف (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١١٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p115) ، وعلى الرغم من المديح الذي ذكر به امراء ال باوند ، بيد أنه لا يسرف أو يبالغ في ذكر محاسنهم. وكان دقيق الملاحظه ذكر معالم عصره واستطرد بالتفصيل فلم يدع جزئية عن طبرستان دون أن يلّم بها، ويمكن القول ان هذا المصدر زودنا بمعلومات وافية عن طبرستان والدويلات التي قامت بها ، ومن أهم هذه المعلومات ما ذكره عن الحاميات العباسية في طبرستان، فقد تحدث عن عديدها واسماء قادتها ومواطن تواجدها (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٨٦، ١٨٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p 186, 187) وبذلك أعطى معلومات قيمة لم يتحدث بها اقرانه من مؤرخي عصره او الذين سبقوه.

كان مجهود ابن اسفنديار التاريخي بلا شك مجهوداً له قيمته وأهميته، لأنه أعتنى كثيراً برواياته وكان حريصاً على نقل وقائع الأيام والأحداث التي عاصرها او سمعها بامانه ، ومع أنه كان يلتزم بالقاء الضوء على تاريخ طبرستان لا سيما الاحداث التي عاصرها ، والأسر التي حكمت طبرستان. بيد أنه لم يتردد في الحديث عن تاريخ الدولة الاسلامية رغم أنه لا يذكر إلا حوادث قليلة، فتحدث عن الخلافة الراشدة، وأعار اهتماماً كبيراً بسيرة الامام

علي عليه السلام، وتطرق الى بعض حروبه ومغازيه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٦٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p 167)، وتحدث عن الدولة الاموية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٧١، ١٧٢، ١٧٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p71, 72 ,72)، ثم تحدث عن الدولة العباسية، واشار الى ايقاع ابي جعفر المنصور بأبي مسلم الخرساني (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ١٧٦، ١٧٧)(Ibn Esfandiar, 2002: p176 , 177) ، ولم يغفل عن ما فعله الخليفة هارون الرشيد بالبرامكة (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص١٩٧)، وذكر آل بويه وخروجهم من بلاد الديلم (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ١٥١) ويبدو ان ابن اسفنديار كان يرغب في ان تكون مادة مصنفه شاملة ومختصره، تتلاءم مع خطته في التركيز والعناية بأخبار طبرستان وحوادثها. وتزداد القائدة من هذا المصنف عندما يتحدث عن الدولة العلوية وأسرة آل باوند ، فضلا عن حديثه عن الجوانب الادرية في طبرستان.

وتميز أسلوبه بالوضوح بعيداً عن التكليف والتعقيد، واستطاع من استيفاء بعض الاخبار بحيث تظهر مترابطة في سياق متصل وبذلك تلافى عيوب الحوليات رغم انه سلك مسلكها ، ولكن بمنهج اكثر وضوحاً، فكان يتلافى تقطيع أوصال الخبر، فعندما ذكر الاصفهبذ الحسن بن رستم بن علي تحدث عن سخائه، وسياسته التي وصفها بانها تجاوزت منزل الكمال وانه لم يترك من خصال الرجولة والشهامة شيئاً ، ثم يعد بأنه سوف يذكر كرمه وسخائه في موضع أخرى (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٥١، ٣٠٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p151, 307) وعند كلامه عن الحسن بن علي الناصر الكبير يُذكر بما سبق، وأنه تحدث عن نسبه من قبل (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٥١، ٣٠٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p151, 307) وهذا الاسلوب الذي اعتمده ابن اسفنديار يعطي الموضوع نوعاً من الوحدة، بخلاف منهج الحوليات الذي لم يلتزم ابن اسفنديار بكل حيثياته، فهذا الاسلوب كما هو معلوم يقوم على تقطيع أوصال الخبر بحيث لا يظهر منه في النهاية إلا جزيئاته (روزنثال، ١٩٦٣: ص ١١٧ –١١٨) (Rosenthal, 1963: p 117–118).

وكان حريصاً على عدم الإطالة في الرواية حتى لا يخرج عن القصد من موضوع تاريخ طبرستان، فعندما تحدث عن محمد بن زيد الداعي الى الحق (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٠٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p413) ارجأ الافاضة في ذلك الى ان تأتي سيرته خلال حديث ابن اسفنديار عن العلويين ودولتهم في طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٠٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p413) . التي صب جل اهتمامه على ما يتصل بأخبارهما، وسير أمرائها. وتمسك ابن اسفنديار بهذا المنهج وتحاشى الاطالة خلال حديثه عن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٦ –٨٠٩م) وابنه الخليفة

المـأمون(١٩٨ –٢١٨هـ/ ٨١٣ –٨٣٣م)(ابـن اسـفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٠٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p413) .

ومـا ذكـره عـن فـرق الخـوارج مـن الحروريـة ، والمارقـة والشـراة ، والازارقـة يوضـح اهتمامــه ومعرفتــه بــالفرق الإســلامية فبــيّن أســباب تســميتهم، وذكــر أشــعارهم وبعــض قادتهم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٦٨، ١٧٠) (Ibn Esfandiar, 2002: p 168, 170) .

ويلحـظ المـدقق فـي هـذا الكتـاب تعففاً مـن المؤلـف عـن الخـوض فـي مثالـب النـاس، واعراضاً عن المساس باعراضهم، بيد انه كان يطلق على الشخصيات التي يؤرخ لها احكاماً نقديـة فذكر الفضـائل كما ذكر النقائص، فيتحدث عن نجم الدولـة قارن بن شـهريار وذكر خصاله من كرم وجود وشجاعة، غير أنـه يذكر مساوءه ناقدا، فيتهمـه بانـه كان فظاً غليظ القلب (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٣٤٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p343)، ووجـه نقداً لـبعض الحـالات التـي رصـدها. رغـم علاقتـه الجيـدة مـع البـلاط الباونـدي، فـذكر ان أهـالي لأرجـان التـي تقـع بـين الـرىّ وآمـل طبرسـتان (ابـن شـمائل القطيعـي، ١٩٩١: ج ٣، ص ١١٩٤) (Ibn al-Shamayel al-Qata'i, 1991: v3, p1194) ضـاقوا ذرعاً بحاكمها ، وتحدث عن جوانب من افعاله، وقد وصفه بالكافر (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٤١٠) (Ibn Esfandiar, 2002: p 410)، واتسع طرحه في هذا الكتاب متجاوزاً الأمور السياسية والعسكرية إلـى مجـالات أوسـع فـي الاقتصـاد والاجتمـاع (ابن اسـفنديار، ٢٠٠٢: ص٣٧٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p375).

ومما يؤاخذ عليه أنه لم يعتمد نسقاً واحداً في نقل موارده، فنراه يذكر اسم المؤلف دون ان يذكر عنوان مصنفه، فذكر انـه نقل عن الامام الباخرزي (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٣٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p135) دون ان يذكر مصدره، وربما يذكر الكتاب مختصرا وتراه ينقل نصوصا دون الإشارة الى مصدره (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ١٤٦، ١٥٠، ١٨٦، ١٨٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p146, 150, 186, 187). وفي بعض الأحيان يذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب ، كما هو الحال في كتاب (الصافي في آثار الدولة الديلمية) لمصنفه أبي اسحاق إبراهيم بن الهلال الصابي (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٥١) (Ibn Esfandiar , 2002: p 151) ونجد يترجم لبعض من مؤلفي موارده التي اعتمدها في موضع اخر (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ١٣٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p135) . ويترك الكثير دون أن نعرف عنهم شيئاً.

ويؤاخذ عليه أنه ورغم نقده لمصنف (باوند نامه) الذي وصفه بانه كتاب أكاذيب أهل القرى وأفواه عوام الناس ،بيد أن الخرافة في بعض مروياته كانت من المسلمات (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ،٨٦- ٨٧، ٩٤، ٩٦) (Ibn Esfandiar, 2002: p86- 87, 94, 96) ، ويبدو ان ابن اسفنديار تحدث بلغة عصره (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p94, 95, 96, 97, 98) وعليه يمكن القول أن منهج ابن اسفنديار لا يختلف عن منهج اقرانه ومعاصريه من المؤرخين المسلمين، بيد أنه لم يلتزم ضوابط الحوليات، وكان يسخر من لغة الخرافة التي كتب بها بعض المصنفين، ولا يخفى فان هذا الكتاب غطى مرحلة مهمة من تاريخ طبرستان كادت أن تختفي لولا جهود هؤلاء الافذاذ في الحفاظ عليها.

منهجه في تثبيت تاريخ الأحداث:

لم يتبع ابن اسفنديار نسقاً واحداً في تثبيت الحوادث، بل تعامل معها وفق ما كانت تتوفر لديه من معطيات زمنية، فكان يكتفي بذكر عام وقوع الحدث دون ان يذكر تاريخه الدقيق باليوم والشهر كما فعل في ذكره وفاة الأمير البويهي منوجهر (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ٣٢٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p323) ، وفي أحيان كثيرة كان يتحدث عن وقائع واحداث تاريخية دون الاشارة الى تاريخها، أي أنه لا يظهر اعتناء في تحديد تواريخ الاحداث، فهناك اخبار نقلها غير مؤرخه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ٣٧٨، ٣٧٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p115, 116, 117, 122, 378, 379)، في الوقت نفس سجل تواريخ وقوع بعض الاحداث بصورة دقيقة، فذكر وفاة الأمير العلوي الحسن بن زيد الذي توفى في يوم الاثنين الثالث من شهر رجب عام مائتين وسبعين، وكان دقيقاً في تدوين تواريخ وقائع الأيام في فترة حكمه، فذكر تاريخ جلوسه على الملك وكان ذلك في السادس من جماد الأول عام (٢٧١هـ/ ٨٨٤م) (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ٢٥٣) ، (Ibn Esfandiar, 2002: p253) وذكر تاريخ ذهابه الى الري وحروبه في طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨...) (Ibn Esfandiar, 2002: p256, 257, 258, ...). وكان ابن اسفنديار يروي كبرى الاحداث السياسية والعسكرية في طبرستان متخذاً امراء الدولة العلوية منطلقاً أساساً لهذا المصنف، فاهتم كثيراً بتاريخ هذه الدولة فذكر ملوكهم وابناءهم وتطرق الى انسابهم، ولعل هذا المصنف الأهم الذي تحدث عن دولة العلويين في طبرستان.

منهجه في الاستشهاد بالايات القرانية، والاحاديث الشريفة:

لا شك ان توظيف الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والاستعانة بها كانت صفة ملازمة لكثير من المصنفات التاريخية، إذ غالبا ما يقرن الخبر بالاستشهاد بآية من القرآن الكريم او

حديث نبوي، وهذه الحالة كانت متبعة لدى الكثير من المصنفين ويمكن عدّها أسلوبا عاماً لهؤلاء الأفذاذ لا سيما مؤرخين العصور الإسلامية، في اثبات الحجج او للتأسي او للعبرة وفق ما تطلب الأمر. فالاكثار من الايات القرآنية او الاحاديث الشريفة فيها معانٍ ومفاهيم، الحكمة والموعظة الحسنة، ويبدو أن ابن اسفنديار كان لا يرى ضرورة في ذكر اسم السورة التي استخرج منها الآيات، وغالبا ما كان يستخرج هذه الآيات الكريمة من سورة (الحجر ، ال عمران، الذاريات، القصص، فاطر..) . ويلاحظ أنه لم يدون الآيات القرآنية كاملة، **بل ذكرها مجزئة**، وكان يذكر الآية او الحديث الشريف لضرورة التأسي، وحاجة النص، فنقل قصة الخليفة ابي جعفر المنصور (١٣٤- هـ/ ٧٥١م) وصاحبه، قبل ان يصبح خليفة وبعد استخلافه، واستشهد بقوله تعالى(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) (القرآن الكريم، الاعراف، اية ، ١٢٩) (The alkarimu Qur'an, Surat Al-A'raaf, ayatan , 29)، كذلك تحدث عن أرزاق العباد ثم استشهد بآيات من القصص والذاريات (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٦٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p67). يلاحظ أن معظم الآيات القرآنية وردت في الباب الأول الذي تحدث فيه عن أوضاع الدنيا وتقلباتها، واستدل باحاث التاريخ محذراً من الإسراف والاستخفاف بالدين، وكانت الايات الواردة في هذا الفصل بمثابة استشهاد لتعزيز وجهات نظره. ومازج ابن اسفنديار بين الحديث الشريف والرواية التاريخية، فنقل لنا حديث الرسول عن كسرى (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٦٠) (Ibn Esfandiar, 2002: p60)، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال الدنيا (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٦٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p68).

ومن خلال قراءة هذا المصنف يمكن أن نتصور اهتمام مصنفه بالفقه الإسلامي وتشريعاته. وفق هذا الوصف فان اهتمامه بالحديث الشريف مهم بالنسبة اليه، لان الاحاديث النبوية التي نقلتها كتب الصحاح السته (البيضاني، ٢٠١٢: ص٢١٨ -٢٢٤) (albadhani, 2012:p218 -224) تعد مصدراً مهماً من مصادر التشريع الاسلامي (الغريفي:، ب ت:ص ٩) (algharifi, (n .d):p9).

الاستشهاد بالأبيات بالشعرية:

استخدم ابن اسفنديار الشعر مقروناً بالخبر بمقادير مختلفة في ثنايا هذا المصنف، ويبدو أن حرص المؤرخ في تدوين الشعر المتصل بالموضوع الذي يؤرخه رغبة من المصنف في توثيق الحادث او الخبر، وهذه الاقتباسات الشعرية تعبّر عن حالة ثقافية وذهنية للبيئة والعصر الذي يؤرخ لهما (كوثراني، ٢٠٠١: ص٥٠) (Kawtharani, 2001: p50).

لقد مازج ابن اسفنديار بين الشعر الفارسي (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢:ص ١٤٢- ١٤٥، ٣٠٥) (Ibn Esfandiar) والشعر العربي فذكر الأبيات الشعرية باللغة الفارسية، وإذا تطلب الأمر ذكرها باللغة العربية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٨٨، ٢٣١، ٢٧١، ٢٧٣...) (Ibn Esfandiar, 2002: p188, 231, 271, 273) . إن هذا الكم الكبير من القصائد التي نقلها ابن اسفنديار في مصنفه تدل على قدرته الأدبية وسعة اطلاعه، وهو في كل الأحوال سار على منهج معظم المؤرخين المسلمين الذين سبقوه .

موارده في انتقاء المادة التاريخية

انتفع ابن اسفنديار كثيراً بالمصادر المكتوبة والتواريخ المدونة، وربما الوثائق الرسمية ، وكان مصنفه تاريخ طبرستان ثمرة لمجهوده الميداني اضطلع به جماعة من المؤرخين ، امثال ظهير الدين مرعشي(٨١٥ -٩٨٢هـ/ ١٤١٢- ١٥٧٤م)، صاحب تاريخ طبرستان ورويان، واخرين غيره. فكتابه يعد الاهم بين تلك المصنفات لأن ابن اسفنديار شاهد عصره، فلا يحتاج إلى إيراد الروايات لاثبات وقائع الاخبار التي نقلها ، فالاحداث كانت بمرأى ومسمع منه، ولعل عمله في بلاط حسام الدولة أردشير بن حسن الباوندي(٥٦٧-٦٠٢هـ/ ١١٧٢-١٢٠٦م) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٤١٨ -٤٢٣) (Ibn Esfandiar, 2002: p 418 -423) ساهم في معرفته بمجريات الأحداث واطلاعه على وقائق الايام فكان شاهداً للحوادث التي وقعت في طبرستان، ونقل لنا سيرة الامراء الباونديين وتحدث بازهاب عن الامير رستم بن أردشير بن حسن الباوندي وذكر حادثة مقتله (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٩) (Ibn Esfandiar, 2002: p19) . وبين لنا خفايا الأسرار، وما كان يدور في بلاط الباونديين (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٤١٣)) (Ibn Esfandiar, 2002: p413)، وتحدث عن مشاهداته لقبر عضد الدولة، الذي يقع في قبوة تحت إيوان ضريح الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٤١٣)) (Ibn Esfandiar, 2002: p413)، وسجل لنا مشاهدته لقبر السندي بن شاهك في سارية (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٠٧) (Ibn Esfandiar, 2002: p 207) وذكر ايضا مشاهداته في مسجد سالار في مدينة آمل ، ففي هذا المسجد واحد من اقدم منابر طبرستان (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص١٣٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p135). ولم يكتف ابن اسفنديار بتسجيل مشاهداته بل كان حريص على نقل ما سمعه (ابن سفنديار، ٢٠٠٢: ص ٦٩، ٧٠، ٧١، ١٧٣، ٤٣١ ...) (Ibn Esfandiar, 2002: p 69, 70, 71, 173, 431 ...) .

إن نجاح ابن اسفنديار في نقل الصورة الواقعية الينا عن الاحداث التي عاصرها لا يختلف عن نجاحه في انتقاء مصادره، ولعل أميز هذه المصادر واهمها (رسائل تنسر) التي وصفها أرثر كرسيتنسن بانها اقدم الوثائق عن العصر الساساني (كرسيتنسن، ١٩٨٢: ص٥١) (karsitinsn, 2002: p51) ، وجعلها ابن اسفنديار مدخلاً الى مصنفه (تاريخ طبرستان) (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥)(Ibn Esfandiar, 2002: p25). وهذه الرسائل كانت تعرف بـ(جشنسف) وهو ملك طبرستان كما نقل ابن اسفنديار، وضعها هذا الملك الى قاضي قضاة اردشير بن بابك الذي كان يعرف بـ(تنسر) وهذا الاسم اطلق عليه لأن الشَعَر كان يغطي كل بدنه كما قال ابن اسفنديار. وعرب هذه الرسالة ابن المقفع (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٢، ٣٠، ٣١) (Ibn Esfandiar, 2002: p22) ومن بين مصادره الاهم عدة اجزاء من كتاب(كاوباره)، ووفقاً لما ذكره ابن اسفنديار فان (كاوباره) كان لقباً لملك طبرستان ، عثر على هذا المصنف في مكتبة مدرسة رسم بن علي بن شهريار في مدينة الري (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٢٥– ٢٦) (karsitinsn, 2002: p25 –26). وتعرض كتاب (باوند نامه) ، وهو من مصادر تاريخ طبرستان الى النقد الاذع من ابن اسفنديار واصفاً اياه بكتاب أكاذيب أهل القرى وأفواه عوام الناس (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p22).

تحدث ابن اسفنديار عن واحد من أهم المصنفات التي عثر عليها وكان اسمه (عقد السحر وقلائد الدر) للامام أبي الحسن بن محمد اليزدادي الذي صنفه باللغة العربية، وابو الحسن بن علي اليزدادي مصنف من شهرته في غنّى عن التعريف كما قال ابن اسفنديار (ابن اسفنديار ، ٢٠٠٢: ص ١٣٥) (Ibn Esfandiar, 2002: p135) دون لنا الامام اليزدادي في هذا الكتاب سيرة الملك حسام الدين أردشير وأسلافه من الأسرة الباوندية، ومن مصادره ايضاً رسائل صنفها رجل من الهند وترجمها علاء بن سعيد سنة سبع وتسعين ومائة بأمر من داود اليزدى (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٢) (Ibn Esfandiar, 2002: p22) .

ومن بين موارده التي انتفع بها مصنف، فردوس الحكمة ، وهذا الكتاب من تصنيف ابن ربن الطبري، ولم ير لابن ربّن الطبري اي ترجمه في كتب التراجم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٩٤) (Ibn Esfandiar, 2002: p94)، ونقل عن أبى اسحاق إبراهيم بن الهلال الصابي خروج البويهيين من بلاد الديلم (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ١٥١) (Ibn Esfandiar, 2002: p151) . كان نجاحه واضحاً في نقل صورة الوقائع الينا بحيوية ودقّة، وهذا المنهج الذي سلكه ميزه عن اقرانه من مصنفي كتب المدن والحواضر لأنه في كثير من الأحيان تظهر شخصيته من خلال نقده وتحليله بل رفضه لبعض الحوادث التي لا

توافق منهجيته (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٧٨) (Ibn Esfandiar, 2002: p78) ، وابن اسفنديار عندما ينقل لنا وقائع الايام وسير الخلفاء فانه كان يتناول ما ارتبط منها بتاريخ طبرستان ونرى ذلك واضحاً خلا حديثه عن الصراع بين الأمين والمأمون وتأثير ذلك على طبرستان(ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص ٢٠٢، ٢٠٥) – (Ibn Esfandiar, 2002: p202 – 205). وكان في المتن لا يحتاج إلى ايراد عدة روايات لخبره، أو اثبات مصدر لأخبار ووقائع هي منه بمرأى ومسمع؛ إذن هو مصدر لتاريخ عصره ومدينته(طبرستان)، فكثير من الروايات تعبر عن مشاهداته او ما سمعه وما بلغه كالذي نقله ابن اسنفديار عن علاقة اصفهبد طبرستان بالايوبيين في مصر (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢: ص٤٣٠ –٤٣١) (Ibn Esfandiar، ٢٠٠٢: ص ٤٣٠ –٤٣١). إن نجاح ابن اسفنديار في نقل الصورة الواقعية الينا عن الاحداث التي عاصرها لا يختلف عن نجاحه في انتقاء موارده التي فُقد الكثير منها وعليه اصبح هذا المصنف الأهم بالحديث عن تاريخ طبرستان في تلك الحقبة.

الخلاصة:

عاش ابن اسفنديار في فترة كانت من أدق الفترات التي جازتها طبرستان ، شهد فيها ذروة القوة ثم شهدها تنحدر سريعاً الى دور من الانحلال والاقتتال الداخلي بين الامراء ، انتدب للذهاب الى بغداد ولم يفصح عن سبب هذه الزيارة والمدة التي قضاها . وشهد محنة شديدة الوطأة عليه تمثلت بمقتل الامير رستم بن اردشير بن حسن الباوندي، وعلى الرغم من كل ما عاشه ابن اسفنديار من محن تحدث عنها في هذا المصنف غير انه انتج لنا مصنف يعد الاهم بين المصنفات التي تحدثت عن طبرستان، دون فيه أحداث قسم كبير منها لم يتطرق اليها أقرانه من المؤرخين ، ويكتسب هذا المصنف اهمية كبيرة كونه يميط اللثام عن تاريخ طبرستان، فقد حفظ لنا مخطوطة عثر عليه في دار مكتبة رستم بن علي بن أردشير تؤرخ لطبرستان، فضلاً عن رسالة **تنسر** التي تعّد من أهم الوثائق التي تحدثت عن الحقبة الساسانية. ومن بين المصنفات التي تعد مصدراً مهماً لكتاب تاريخ طبرستان (عقد السحر وقلائد الدر) للامام ابي الحسن بن محمد اليزدادي، وهذا الكتاب من عشرات المصنفات التي اختفت، ويبدو أن ابن اسفنديار اعتمد عليها بشكل كبير لا سيما أن مصنفها تحدث عن الاسرة الباوندية واهتم بسيرة الملك حسام الدين أردشير. وعليه يمكن القول إن تاريخ طبرستان لمصنفه ابن اسفنديار واحد من الكتب التي ضمت بطونها مصنفات ورسائل مفقودة ومن الرسائل المفقودة التي اعتمد عليها ابن اسفنديار رسائل صنفها رجل من الهند وترجمها علاء بن سعيد سنة سبع وتسعين ومائة بأمر من داود اليزدى .

ترجم ابن اسفنديار لعديد من العلماء والأدباء وعدد ليس بقليل من القادة، وبذلك تحدث عن وقائع لم تكن معروفة عن هذا الجزء من العالم الاسلامي. ومزج بين تاريخ الأسر وتاريخ المدن التي استقرت فيها تلك الأسر ، فذكر وصول ال باوند الى السلطة ثم انتقال الحكم الى العلويين لينتقل بعد الى ال باوند، الذين آل اليهم الامر بعد سقوط الدولة العلوية. وذهب ابن اسفنديار الى المزج بين التاريخ المحلي وبين الطبوغرافية ، والحضارة، فجمع بين اخبار التاريخ وجغرافية المدن من خلال عرضه لتضاريس طبرستان، وعطى صورة دقيقه للجوانب الاقتصادية والعلمية في هذه المدينة، رغم الاختصار الواضح الى حدٍ، غير أن هذا الاختصار لا يفقده قيمته العلمية المهمة. فكان المصنف الأفضل بين المصنفات التي تحدث عن هذا الاقليم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن اسفنديار ،بهاء الدين محمد بن حسن،(٢٠٠٢)، تاريخ طبرستان، القاهرة المجلس الاعلى للثقافة.
- براون، ادورد،(٢٠٠٥): تاريخ الادب الايراني، ط١، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة.
- البيضاني، جواد،(٢٠١٢)، ابن شهراشوب ومكانته العلمية، بيروت، مؤسسة الصفا للمطبوعات.
- ال داود، علي،(١٩٩٥)،"ابن اسفنديار" دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج٢، ص ٣٨٧ – ٣٨٨. طهران: دائرة المعارف الاسلامية الكبرى.
- روزنثال، فرانز، ١٩٦٣: علم التاريخ عند المسلمين، ط١، بغداد،مكتبة المثنى.
- ابن الشمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق(ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، ١٩٩١: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، بيروت، دار الجيل.
- ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد، ١٩٩٦: البلدان، ط١، بيروت ، علم الكتب.
- الطبري،ابو جعفر، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ١٩٧٩:تاريخ الرسل والملوك، ط٧، القاهرة،دار المعارف.
- لسترنج، كي،(١٩٥٤)، بلدان الخلافة الشرقية، ط١، بغداد، مطبعة الرابطة.
- الغريفي، محيي الدين،(ب ت)، قواعد الحديت، ط١، النجف ، مطبعة الاديب.
- كرسيتش، ارثر ، (١٩٨٢) . ايران في العهد الاساساني، ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.
- كوثراني، وجيه،(٢٠٠١) التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب، بيروت، دار صادر.

Sources and references:

- The Holy Quran.
- Ibn al-Shamayel al-Qata'I, Abdul Mumin bin Abdul Haq, Mrasad Al-Atala'I, Beirut, Dar Al-Jeel .
- Brown, William, 2005: History of Iranian literature, e d1, alqahr, almajlis al'aelaa lilthaqafa.
- abn shamayil alqatiei,1991: mirsad alaitilae ,ealaa 'asma' al'amakin, ed1, Beirut, dar aljil
- lasataranaj, (1954): buldan alkhilafat alsharqia, ed1, Baghdad, Al-Rabta Press.
- Ibn al-Faqih, Abu Abdullah, Ahmad bin Muhammad, 1996: countries, ed1, Beirut, ealam alkutub.
- Al-Dawood, Ali, (1995). "Ibn Esfandiar" . dayirat almaearif al'iislamiat alkabraaw tahran , mutabaeat dayirat almieraf al'iislamia
- - Christens, Arthur (1982). Iran during the Sassanid era, ... Cairo: the Arab Renaissance House.
- Al-Tabari, Abu Ja`far, Muhammad bin Jarir (d. 310 AH / 922 CE), 1979: History of the Apostles and Kings, e d1, Cairo, Dar Al-Maarif.
- algharifi, muhyi aldyn,(n. d), qawaeid alhudit, Ed1, alnajaf , mutbaeat aladyb
- Kawtharani, wajih,(2001) alttarikh wamadarisuh fi algharb waeind alearabi, bayrut, dar sadir.

Study in the book History of Tabaristan by Ibn Esfandiar

The history of Tabaristan is one of the important works that covered the news of this troubled region, which represented a major challenge to the authority of the Abbasid state, and this book acquires its importance as it talked about the hidden secrets of secrets that relate to Tabaristan and the families that ruled it from the Pound, whose reigns for Tabaristan went back to before Islam. Thus, this book covered two important stages of the history of this region, the first stage before Islam as well as the Islamic stage, which was marked by the arrival of the Alevis to power and their separation from the Abbasid state and the building of an independent state in this region, Ibn Esfandiar talked in details about the Alevi imams, and did not hide his admiration for them, as well as his brief talk about the Bondi family. Accordingly, it can be said that the history of Tabaristan is considered as the most important amongst the works in this regard, as it included a number of works that were absent in the board and had no effect except in this book.